

القَصَصُ الدِّينِي
الحَلَقَةُ الأولى
قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

عبد الحميد جودة السحار

١٦

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

الْقَصَصُ الدِّيْنِيّ

عَبَّاسِي بن قاسم

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناسخ
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

رَفَعَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ وَجْهَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَتْ
حَامِلًا ، وَقَالَتْ :

- يَا رَبِّ ، لَقَدْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ؛ سَأَجْعَلُهُ فِي
خِدْمَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، يَعْبُدُكَ النَّهَارَ وَاللَّيْلَ ، وَلَا يَتْرَكَ
الْعِبَادَةَ أَبَدًا .

وَمَرَّتِ الشَّهْوَرُ ثُمَّ وَضَعَتْ ، فَجَاءَ الْمَوْلُودُ بِنْتًا .
فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ :
« رَبِّ ، إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ، وَاللَّهِ أَغْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ ،
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ، وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ » .
وَضَمَّتْ ابْنَتَهَا إِلَى صَدْرِهَا فِي حَنَانٍ ، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى
السَّمَاءِ وَقَالَتْ :

- رَبِّ ، احْفَظْهَا وَأَبْنَاءَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ .

وانتظرت حتى استطاعت أن تنهض بعد الولادة ،
فحملت مريم وخرجت إلى بيت المقدس لتسلمها إلى
العباد المقيمين به ، ولتجعلها خادمة من خدام المسجد .
لقد نذرت ذلك إذا أعطها الله ولدا ، وقد وهبها الله
مريم ، فكان عليها أن تنفذ نذرها .

٢

كانت أم مريم ابنة إمام المتعبدين بيت المقدس ،
وكان نبي الله زكريا زوج أختها ، لذلك لما جاءت
بمريم لتعطيها للمتعبدين لتعيش معهم في المعبد ، أراد
زكريا أن يأخذها لأنه زوج خالتها ، وأراد رجال
آخرون أن يأخذوها . فقال زكريا أنا أحق بها .

فقال أحد الموجودين :

- ليس أحد أحق بها من أحد ، كلنا هنا نخدم
المعبد .

فقال زكريا : بماذا ترضون ؟

قال أحدهم :

- نلقى بأقلامنا في النهر ، فمن جرى قلمه ضد
التيار فهو الغالب .

فذهبوا إلى النهر ، وجعل كل منهم على قلمه
علامة ، وألقوا الأقلام في الماء ، فجرت الأقلام كلها
مع التيار ، وجرى قلم على خلاف الأقلام ، فلما
أخرجوه ظهر أنه قلم زكريا .
فأخذها زكريا وكفلها وتعهّد بتربيتها .

٣

كبرت مريم وهي في رعاية زكريا ، وقد خصص لها
مكانا في محراب المعبد لا يدخله سواها ، فكانت تعبد
الله فيه ليلا ونهارا .

واشتهرت مريمُ بين أهلها بالصَّلاح والتَّقوى ،
وكانت أعبدَ أهل زمانها ، فكان الملائكةُ يزورونها في
مكان عبادتها ، ويُعطونها فاكهةً لم يُر مثلها . وكان
كلما دخل عليها زكريّا المحرابَ وجد عندها الفاكهةَ
الفاخرة ، فيقول لها :

- يا مريم ، مِنْ أَيْنَ لَكَ هذا ، ما خرجتِ أو تركتِ
مكانك؟

فتقول له : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
بغير حساب .

كان زكريّا نبيا ، وكان يعرفُ أَنَّ الملائكةَ تزورُ
الصَّالِحِينَ ، فكان يصدِّقُها .

وجاءت الملائكةُ إلى مريم وقالت لها :

- يا مريم ، إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَكَ مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ لِتَأْتِيَ
بولدٍ عظيم . وسيكونُ هذا الولدُ نبيا شريفا ، يُكَلِّمُ

الناسَ وهو في مهده ، ويدعوهم إلى عبادةِ اللَّهِ وحده
لا شريكَ له . يا مريمُ أكثري من العبادةِ والركوعِ
والسُّجودِ لِتَسْتَحِقِّي هذه الكرامةَ والنعمةَ .

فقالت مريمُ وهي تنظرُ إلى السماء :

- ربِّ ، كيفَ يكونُ لي ولدٌ وليس لي زوج ؟

فقالت لها الملائكةُ :

- إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا ،
فإنَّما يقولُ له كُنْ فَيَكُونُ .

٤

كانت مريمُ تعبدُ اللَّهَ الليلَ والنهار ، وما كانت تتركُ
المسجدَ إلا لضرورة ، وفي يوم خرجت مريمُ لقضاء
ضرورة ، وانفردت وحدها شرقى بيت المقدس ، وفيما
هي وحيدة ، إذ وجدت أَمَامَهَا رجلا ، ففرغت منه ،
وقالت له :

- إني أعود بالرحمن منك ، من أنت ؟

فقال له الرجل :

- أنا رسول ربك ، ولست ببشر ، ولكني ملكٌ بعثني الله إليك لأهب لك غلامًا زكيا .

فقالت مريم :

- كيف يكون لي ولد ، وليس لي زوج ، وأنا شريفة

طاهرة ؟

فقال الملك :

- لقد وعد ربك أن يعطيك غلامًا من غير زوج ،

وهو عليه هين ، فإنه على ما يشاء قدير .

إن الله سيجعله علامة ودليلا على كمال قدرته ،

فإنه خلق آدم من غير أبوين ، وسيخلق ابنك من غير

أب .

اعتزلت مريم الناس ، فلما شعرت بآلام الوضع

ذهبت إلى جذع نخلة ، وأسندت ظهرها إليه ، وهي

تتخيل ما سيقوله الناس عنها عندما تعود إليهم وعلى

يديها طفل ، مع أنها كانت معروفة عندهم بأنها من

العابدات الصالحات .

« قالت : يا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسيا

منسيا » .

عندئذ سمعت صوت الطفل المولود يتحدث ويناديها

من تحتها :

- لا تحزني .

دهشت مريم وتلفتت ذات اليمين وذات الشمال ،

فلم تجد بجوارها أحدا ، فعلمت أنه الطفل الذي ولدته

حديثا . واستمر الطفل يقول :

« فَهَزَى إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا
جَنِيًّا ، فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ، فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ
أَحَدًا فَقُولِي : إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
إِنْسِيًّا » .

٦

قامت مريم وحملت ابنها ، وسارت حتى وصلت
حيث كان الناس ، فلما رأوها تحمل عيسى ، غضبوا
وحزنوا وقالوا لها :

- يا مريم ، لقد فعلت أمراً عظيماً منكراً ، وما كنا
نظن أن تفعل ذلك ، لأن أباك كان رجلاً صالحاً ،
ولأن أمك لم تكن امرأة سيئة ، وكنت فتاة عابدة ، فما
كنا نظن أن يحدث هذا منك .

فأشارت إليه - ولم تفتح فمها بكلمة .

« قالوا : كيف نكلّم مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ؟
هَلْ تَسْخَرِينَ مِنَّا يَا مَرْيَمُ ، وَتَسْتَهْزِئِينَ بِنَا ؟
وَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا
بِالطِّفْلِ يُفَاجِئُهُمْ بِالكَلَامِ .

« قَالَ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا .
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ،
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ ، وَيَوْمَ أُبْعَثُ
حَيًّا » .

٧

كَبُرَ عَيْسَى وَصَارَ يَلْعَبُ مَعَ الْأَوْلَادِ ، وَكَانَ يَقُولُ
لِلْأَحَدِهِمْ :

- تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك ؟

فيقول الصبي : نعم .

فيقول له عيسى : خبأت لك أمك تفاحا .

ويذهب الولد إلى أمه ويقول لها :

- أريد أن أكل ما خبأت لي .

فتقول له الأم : وأى شيء خبأت لك ؟

فيقول الولد : تفاح .

فتقول له الأم وهي تعجب :

- من أخبرك ، ولم يكن معي أحد في البيت ، لما

خبأت لك التفاح .

فيقول لها الصبي : أخبرني عيسى بن مريم .

واستمر عيسى بن مريم يُخبر الأولاد بما خبأت لهم

أمهاتهم ، والأولاد يجدون ما يخبرهم به عيسى ، فأحببه

الأولاد ، وتعجبت الأمهات من قدرته على معرفة

الغيب .

٨

وأمر الله عيسى أن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده

لا شريك له . فخرج عيسى إلى بني إسرائيل وقال

لهم :

- إني رسول الله إليكم ، أدعوكم إلى طاعة الله

الواحد ، والعمل الصالح ، وترك الأعمال الرديئة

والمعاصي التي تغضب الله .

فلم يسمعوا له وهزأوا من قوله ، فقال لهم :

- إني جئتكم بمعجزة من ربكم .

فقالوا له : وما هذه المعجزة ؟

قال لهم : « أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ،

فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبرئ الأكمه

والأبرص وأخحي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تاكلون

وما تدخرون في بيوتكم » .

فارتفعت أصواتُ بني إسرائيل :

- يا عيسى ، لا تستطيعُ أن تفعلَ ذلك .

فقال لهم : وإن فعلتهُ تؤمنوا بي وتصدّقوني ؟

فارتفعتُ أصواتُ الناس : نعم نصدّقك .

فأخذَ عيسى قطعةً من الطّين وجعلها على شكل الطّير ، ثم نفخَ في الطّين فدبتِ الرّوحُ فيه ، وطار .

فصاح صائح : هذا سحر ، إنه ساحر .

وقال آخر :

- أرنا يا عيسى كيف تردُّ البصرَ إلى الأعمى .

وتقدم رجلٌ أعمى إلى عيسى ، فمرَّ يدهُ على عينيهِ ، ففتحَ الرجلُ عينيهِ ، ورأى النورَ ورأى الناسَ الذين حولَهُ . ولكن بني إسرائيل لم يؤمنوا بعيسى ولم يتبعوه بل صاحوا :

- لن نصدّقك حتى تُحيي الموتى .

فقال لهم عيسى : أنا هو نور الحياة .

وذهب عيسى إلى قبر ، وأمرَ الميت أن يقوم بإذن الله ، فقام الميتُ وخرجَ من القبر وهو ينفضُ رأسه من التراب ، وانتظر عيسى أن يصدّقه بنو إسرائيل ويؤمنوا بالله الذي أرسله ، ولكنهم قالوا :

- إنك سحرتنا ، ولن نصدّقك أبدا .

وانصرفوا من حوله وتركوه وحيدا .

٩

لم يئس عيسى من بني إسرائيل . وعاد إليهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، فقال لهم :

- يا بني إسرائيل إني رسولُ الله إليكم ، مُصدّقاً لما بينَ يدي من التوراة ، ومُبشِّراً برسولٍ من بعدى اسمه أحمد .

فقال له رجلٌ مستهزئاً :

- يا عيسى ماذا أدخِرَ في بيتي ؟

فقال له عيسى :

- تدّخر في بيتك كذا وكذا .

وذكر له ما يدّخره في بيته ، فسكت الرجل ولم يتكلم ؛ لأنه وجد أن ما قاله عيسى صحيح .

وجاء العميان والمرضى إلى عيسى جماعات جماعات ، فكان يرُدُّ إلى العميان أبصارهم ، ويشفي المَرَضَى من أمراضهم ، ومع أنه كان يفعل هذه المعجزات ، لم يصدّقه بنو إسرائيل ، فقال لهم :

« جئكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » .

فقال الناس :

- هذا سحر ، لن نصدقك أبدا .

قال عيسى :

« مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ » قال الحواريون : نحنُ

أَنْصَارُ اللَّهِ ، آمَنَّا بِاللَّهِ ، واشهدُ بآنا مُسْلِمُونَ » .

ورفعوا أبصارهم إلى السماء وقالوا :

« رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ ، وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ، فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » .

١٠

وفي ذات يوم ، أمر عيسى الحواريين بالصَّيَامَ ، فلما أَتَمُّوا مدَّتَه قالوا : « يا عيسى بنَ مريم ، هل يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ » .

« قال : اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّؤْمِنِينَ » .

« قالوا : نريدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ، وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ،

وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا ، وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ » .

فقام عيسى ، وسأل الله في خُشُوع :

« رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا

لأَوْلَانَا وَآخِرِنَا ، وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ .

« قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ ، فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ » .

١١

خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَالْحَوَارِيُّونَ حَوْلَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ
الْيَهُودُ قَالُوا : جَاءَ السَّاحِرُ ابْنُ السَّاحِرَةِ .

فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى :

- يَا قَوْمَ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، فَصَدِّقُونِي .

فَشْتَمَوْهُ ، وَقَذَفُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ :

- يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُكُمْ .

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ :

- اقْتُلُوا هَذَا السَّاحِرَ ، اقْتُلُوهُ تَسْتَرِيحُوا مِنْهُ ، إِنَّهُ

يَسُبُّكُمْ كُلَّ يَوْمٍ وَيَشْتُمُكُمْ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ
بَيْنَكُمْ .

فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ النَّاسِ :

- اقْتُلُوهُ . اقْتُلُوهُ .

فَأَخَذَهُ الْحَوَارِيُّونَ وَدَخَلُوا بَيْتًا مِنْ بُيُوتِهِمْ ، وَأَغْلَقُوا
الْبَابَ خَلْفَهُمْ وَاسْتَمَرُّوا بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي هِيَاجِهِمْ
يَتَحَدَّثُونَ عَنْ قَتْلِهِ ، وَهَجَمُوا عَلَى بَابِ الْبَيْتِ
وَكَسَرُوهُ ، وَدَخَلُوا يَصِيحُونَ فِي غَضَبٍ :

- اقْتُلُوا هَذَا السَّاحِرَ ، اقْتُلُوا مَنْ جَاءَ يَخْدَعُ
ضِعْفَاءَكُمْ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ .

وَأَمْسَكُوا أَحَدَ أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ عِيسَى بْنُ
مَرْيَمَ ، وَيَصِيحُونَ فِي ثَوْرَةٍ .

- اصْلُبُوهُ ، اصْلُبُوا عِيسَى ابْنَ السَّاحِرَةِ .

وَأَخَذُوهُ وَنَاسٌ كَثِيرُونَ يَسِيرُونَ حَوْلَهُ يَشْتُمُونَهُ

وَيَشْتَمُونَ أُمَّه ، وَجَاءُوا بِخَشَبَةٍ وَصَلَبُوا عَلَيْهِا ،
وَأَخَذُوا يَقْدِفُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَالدَّمُّ يَسِيلُ مِنْهُ ، وَبَقِيَ
المَصْلُوبُ يَتَعَذَّبُ حَتَّى مَاتَ ، وَانصَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَهُمْ يَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ صَلَبُوا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ . وَمَا قَتَلُوهُ
وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهَهُمْ .

١٢

تَرَكَ عِيسَى جُمُوعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الشَّاثِرَةِ الْكَافِرَةِ ،
وَسَارَ وَحْدَهُ يَفْكُرُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ
أَنْبِيََاءَهُمْ وَيَكْذِبُونَهُمْ ، وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ يُفَكِّرُ إِذْ قَالَ اللَّهُ
لَهُ :

« يَا عِيسَى ، إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ، وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ، فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » .